جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

ثقافة التعايش مع الآخر عند رواد المهجر

«إيليا أبو ماضي أنموذجاً»

الدكتورة

بسمة عبد الحكيم عبد الرحيم سعد الدين

مدرس الأدب والنقد بكلية البنات الأزهرية بطيبة الجديدة ـ الأقصر

جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

العدد الرابع والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م

الجزء الثاني عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

ثقافة التعايش مع ا لآخر عند رواد المهجر "إيليا أبو ماضي أنموذجاً"

بسمة عبد الحكيم عبد الرحيم سعد الدين

قسم الأدب والنقد ـ كلية البنات الأزهرية بطيبة الجديدة – الأقصر ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: basma-abdelraheem.2080@azhar.edu.eg

الملخص

يتناول هذا البحث ظاهرة واضحة، وهي ثقافة التعايش مع الآخر عند رواد المهجر، وترتكز على واحد من أهم شعراء المهجر، والذي تجلت عنده تلك الظاهرة بوضوح، وهو (إيليا أبو ماضي)، لذا خصصت تلك الدراسة عنه، وجعلتها قائمة على محورين هامين بجانب المقدمة والتمهيد، أما المحور الأول: فيعرض للشاعر، وثقافة التعايش مع الآخر من منظوره الأدبي، أما المحور الثاني: فيعرض للخصائص الفنية لنظرته الأدبية، ثم تأتي خاتمة، وفيها أبرز نتائج تلك الدراسة.

وهذه الدراسة لا أدعي لها الكمال، ولكني أراها خطوة في طريق علينا طرقه، للغوص في الأعمال الأدبية، والبحث عن المعاني والقيم الإنسانية، التي تحتاج لها المجتمعات في ظل الظروف والأزمات التي تتعرض لها البشرية جمعاء.

الكلمات المفتاحية: ثقافة، التعايش، الآخر، الأدب المهجري، إيليا أبوماضي.

The culture of coexistence with one another among the pioneers of the diaspora 'Ilya Abu Madi as a model'

Basma Abdul Hakim Abdul Rahim Saad Eddin
Department of Literature and Criticism - Al-Azhar Girls College in New Tiba - Luxor - Al-Azhar University - Arab Republic of Egypt
Email: basma-abdelraheem.2080@azhar.edu.eg

Abstract

This research deals with a clear phenomenon, which is the culture of coexistence with the other among the pioneers of the Diaspora, and it is based on one of the most important poets of the Diaspora, in which this phenomenon was clearly demonstrated, namely (Ilya Abu Madi), so I devoted this study about it, and made it based on two important axes beside the introduction And the introduction, as for the first axis: it presents the poet and the culture of coexistence with the other from his literary perspective, and the second axis: it presents the technical characteristics of his literary outlook, and then comes a conclusion, and it includes the most prominent results of that study.

I do not claim this study to be perfect, but I see it as a step in the path that we have to follow, to delve into literary works, and to search for human meanings and values that societies need in light of the circumstances and crises that all humanity is exposed to.

Keywords: **culture, coexistence, otherness, immigration literature, Ilya Abu Madi.**

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله ربه هادياً للإنسانية، وأتاه الحكمة وفصل الخطاب، وعصمه من الزلل، وألهمه الصواب، فكان من الحجة والبلاغة بمكان، قطع بها لسان أهل الزور والبهتان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أتم الصلاة والسلام.

وبعد

فإن التوجه نحو التغيير والتجديد في الأدب لنتيجة ملازمة لصعود النزعة الشعرية عند رواد المهجر، وليس مصادفة أن يتطور الحوار وتغزونا القيم الثقافية الناتجة عن تجارب هؤلاء الرواد، بل كان من أهم ما يميز اتجاههم استنادهم الدائم على رؤية ثقافية عقلانية واقعية تدفع بالإنسان نحو التقدم والتعايش مع المجتمع وقبول الآخر.

لقد كان هؤلاء المهجريين لخير دليل على قبول الآخر وفكرة التعايش معه؛ ذلك لأنهم عاشوا في مجتمع مختلف عن مجتمعاتهم، ومع ذلك أدركوا بعقولهم ضرورة التجاوب والتعايش مع الآخر، ومن ثّم أرسلوها في شعرهم.

لقد سعوا إلى نشر معاني الإنسانية المتمثلة في المبادئ السامية والمثل العليا، وأصبح الشعور بقومهم وإخوتهم عماد أدبهم، كما أصبح التعايش مع الآخر لسان حالهم، يقول ميخائيل نعيمة: "أدركت يا أخي أنني ما خطوت خطوة في حياتي إلا كانت يدك في يدي وساعدك في ساعدي،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكتفك في كتفي، وإني حُييت لا بما فيّ وحدي من حياة ولكن بما فيك وفيّ من حياة"[١].

ويأتي على رأس رواد المهجر شاعرنا "إيليا أبو ماضي" الذي أدرك أن الرسالة الإنسانية لابد وأن تستهدف الكرامة والمنزلة السامية للمجتمع الإنساني، فرفع شعار التسامي في الأخلاق ومحاولة قبول الآخر مهما كانت تحديات الحياة.

أسباب اختيار الموضوع.

ومن دوافع اختيار هذه الدراسة: أن شعر أبي ماضي على المستوى الفلسفي ظاهرة فريدة من نوعها، حيث تتجسد في شعره العديد من المعاني الإنسانية التي تجيب عن ضرورة ملحة آلا وهي: ضرورة التعايش بين الكيان البشري، لذا فهي من أنبل التجارب وأصدقها، التي تدفع الباحث إلى دراستها والغوص في أعماقها.

منهج البحث:

أما عن المنهج العلمي الذي اتبعته في معالجة الموضوع، فهو المنهج (الوصفي التحليلي) الذي يتيح لي الكشف عن تجربة الشاعر وقيمها الموضوعية والفنية، التي تضبط العلاقات الإنسانية، حتى تظهر في أرقى صورها.

(١) صوت العالم لميخائيل نعيمة صـ٧٦ طـ٨، الناشر: مؤسسة نوفل –بيروت، بدون تاريخ.

خطة العمل في البحث: -

سأقوم في هذا البحث –بمشيئة الله تعالى– بتناول ثقافة التعايش مع الآخر من منظور شاعرنا، لنصل إلى الضوابط التي ينبغي توافرها في طريقة التعايش مع الآخر، حتى يكون وضع المجتمعات مقبولاً لائقاً.

وقد رأيت أن يشمل البحث مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

أولاً: المقدمة: وتشتمل على.

١- التعريف بالموضوع، وبيان أهميته، وسبب اختياري له.

٢ - منهج البحث، وخطته.

ثانيا: التمهيد، في التعريف بمصطلحات العنوان، مع التعرض للأدب المهجري وأهم رواده وموضوعاته.

المبحث الأول: ثقافة التعايش مع الآخر من منظور إيليا أبي ماضي:

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: إيليا أبو ماضي سيرته الذاتية والموضوعية.

المطلب الثاني: ثقافة التعايش مع الآخر من منظور إيليا الأدبي.

المبحث الثاني: الخصائص العامة لنظرة إيليا الأدبية.

وأما الخاتمة: فضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

والله أسأل العون والتوفيق، فبه المعونة، ومنه الهداية، وعليه القبول.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تمهيد

التعريف بثقافة التعايش مع الآخر عند رواد المهجر

"إطلالة موجزة"

إن ثقافة التعايش مع الآخر مبدأ أسسه ديننا الإسلامي، وأرسى دعائمه وطبقه فعلياً نبينا محمد _صلى- وأصحابه الأجلاء، ومنذ ذلك الحين تحرك الكثير من أدبائنا نحو هذا المبدأ، ودعوا إليه في شعرهم حتى ينعم الناس بمجتمع مترابط يسوده جو من الإخاء والتعايش السلمي.

ومن ثم جاء أدب التعايش مع الآخر عند شعراء المهجر جانباً من جوانب تجاربهم الإبداعية التي تجسد رؤية موضوعية لنظرتهم تجاه الآخر وقدرتهم على التعايش معه.

ولكي تتضح تلك الرؤية عند روادنا المهجريين عامة وشاعرنا خاصة رأيت أن أبدأ تلك الدراسة بالتعريف ببعض المصطلحات الواردة في عنوان البحث حتى تتم الفائدة.

أولاً: مفهوم كلمة (ثقافة):

في اللغة: ثقف الشيء ثقفاً وثقافة وثقوفة: حذقه، ورجل ثَقفٌ: أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه، ويقال: رجل ثقف لقف: إذا كان ضابطاً لما يحويه قائماً به(١).

وفي الاصطلاح: هي خبر يجمع ويحافظ عليه، وتتناقله المجتمعات الإنسانية.

ويعتبر مفهوم الثقافة نسبياً وعالمياً، إذا ما عنينا به ثقافة مجتمع لساني مستقل(٢).

ويمكن تعريفها أيضاً بأنها: ترقية العقل والأخلاق وتنمية الذوق السليم في الأدب والفنون الجميلة(٣).

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (ت: ٣٧٠) ت: محمد عوض مرعب ١٣١/٩ (باب القاف واللام) طـ١: ٢٠٠١م، الناشر/ دار إحياء التراث العربي –بيروت، ولسان العرب لابن منظور (ت: ٧١١هـ)، ١٩/٩ (فصل الثاء المهملة، مادة: ثقف) طـ٣: ١٤١٤هـ، الناشر/ دار صادر – بيروت.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة د/سعيد علوش صـ٥٧ طـ١: ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، الناشر/ دار الكتاب اللبناني –بيروت.

(٣) ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب تأليف: مجدي وهبة، وكامل المهندس صـ١٢٩ طـ٢: ١٩٨٤م، الناشر/ مكتبة لبنان –بيروت.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثانياً: مفهوم التعايش:

في اللغة: مشتقة من العيش، والعيش: الحياة، وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: تعايش يتعايش تعايشاً فهو متعايش، وتعايش الجيران: عاشوا على المودة والعطاء وحسن الجوار، ومنه التعايش السلمي بين الدول: الاتفاق بينهما على عدم الاعتداء، وتعايش الناس: وُجِدوا في نفس الزمان والمكان(١).

والتعايش في الاصطلاح: يقصد به العيش المتبادل مع الآخرين القائم على المسالمة والمهادنة.

ويعرف أيضًا بأنه: الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثقافي ولأشكال التعبير والصفات الإنسانية المختلفة. وهذا التعريف يعني قبل كل شيء اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوقهم وحرياتهم الأساسية المعترف بها عالمياً(٢).

---

(١) ينظر: لسان العرب ٣٢١/٦ (فصل العين المهملة، مادة: عيش)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار (ت: ١٤٢٤هـ)١٥٨٣/٢ (مادة: ع ي ش) ط١: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، الناشر/ عالم الكتب.

(٢) ينظر: أثر الحوار في التعايش مع الآخر تأليف/ عبد السلام حمود غالب صـ١٤، الناشر/ جامعة عليكرة الإسلامية –الهند، بدون طبعة وتاريخ.

ثالثاً: مفهوم الآخر:

يقصد بالآخر: الغير، أو الشخص المماثل أو المقابل لنا، كما يقصد به: الأنا الأخرى التي ليست أنا، كما تحيل على الذات الغيرية الأخرى التي تواجه الأنا، والمختلفة عنها دينياً وحضارياً ولغوياً، مما يعرضها لعلاقة ثنائية ضدية قد تكون تارة إيجابية وقد تكون تارة أخرى سلبية. ومن ثم تنبني هذه العلاقة المزدوجة إما على أساس الصداقة والمحبة والتعايش والأخوة، وإما على أساس الصراع الجدلي والتغريب والإقصاء(١).

ومن خلال تلك التعريفات يمكنني أن أقول: إن ثقافة التعايش مع الآخر تعني من وجهة نظري: بث مجموعة من المعارف الأخلاقية التي ترقى بالمجتمع، وتجمع أفراده المختلفين جنسياً ودينياً وحضارياً على الألفة والمودة.

أما عن الأدب المهجري الذي خص لدراسة تلك الظاهرة عند أحد رواده، فهو: "وليد مشرقي الملامح والسمات، عربي الأرومة ميراثاً ولغة، حمله ناشئة عرب في ثنايا جوانحهم وهاجروا به إحساساً وفكراً وثقافة، ولد في ديار غربة لا تعرف اللسان العربي في مخاطبة أو مدارسة"(٢).

هذا هو المقصود بالأدب المهجري، فهجرة الأدباء العرب كانت بمثابة هجرة للأدب، فالآثار التي خلفتها الهجرة مست الأدب مثلما مست بأدبائه، فتغير المكان والعادات والتقاليد كان له تأثير كبير على الأدباء وبالتالي على أدبهم.

---

(١) ينظر: مستجدات النقد الروائي د/ جميل حمداوي صـ٤٢٠ طـ١: ٢٠١١م.
(٢) ينظر: أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب د/ نظمي عبد البديع محمد صـ٥، الناشر/ دار الفكر العربي، بدون طبعة وتاريخ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالأدب المهجري أدب واقعي في أكثره يتجاوب مع الحياة، وهو كذلك أدب ثقافي ناضج تقدمي كامل التفاعل مع الحضارة الأمريكية، وهو أدب مشغول بالحياة وجميع مقوماتها متفاعل معها غاية التفاعل وجدانياً وفكرياً(١).

أما عن نشأته: فإن الجذور الأساسية لأدب المهجر تضرب بأصالة في أعماق الأرض التي احتضنت البذور الفطرية الأولى لهذا الأدب، والتي أتت أكلها بعد ذلك طيباً حينما وطئت أقدامهم أرض العالم الجديد، حيث تعددت الروافد التي غذت أدب هؤلاء المهاجرين في مهاجرهم، والأرض هي (سوريا، ولبنان) اللتين كانتا خاضعتين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين للحكم العثماني.

لقد اضطر كثير من أبناء البلاد المحتلة إلى تركها إلى المهاجر في (مصر، واستراليا، والأمريكتين)، وكانت الهجرة من واقع أليم جثم على صدر الأحرار، والتماساً لواقع جديد يتنفسون فيه بحرية ويجسمون أحلامهم التي وئدت في غياهب الجور والطغيان السياسي.

وحين نتتبع مسيرة الهجرة ومواكب المهاجرين في شيء من الإيجاز نرى أن الهجرة بدأت أولاً إلى أمريكيا الشمالية، ولم يتجه المهاجرون إلى جنوبها إلا بعد وصولهم إلى الشمال بنحو عشرين عاماً، وكانت لهم أول الأمر مراكز للتجمع يلتقون فيها ثم ينداحون بعد ذلك في المدن والضواحي والقرى الأخرى(٢).

---

(١) ينظر: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه د/ محمد عبد المنعم خفاجي ٣٢٧/١، ٣٢٦ طـ١: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، الناشر/ دار الجيل -بيروت.

(٢) ينظر: أدب المهجر (دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري) د/ صابر عبد الدايم صـ١٤، ١٣ طـ١: ١٩٩٣م الناشر/ دار المعارف.

ومنذ ذلك الوقت اهتم الأدب المهجري بقضايا الإنسان، ودوره ومكانته في المجتمع، فكان يسعى دائماً لإقامة مجتمع مثالي ينتج عنه إنسان يعيش عيشة راضية مع غيره بعيداً عن أي قيود ونزاعات.

ومن هنا وجدنا أدباء المهجر الذين هجروا أوطانهم بعد أن غزاها الاحتلال الذي يرفض التعايش مع الآخر بل ويتخذ كل أساليب القهر والظلم في التعامل معه، إلى مجتمع آخر وتقاليد مختلفة، يحملون أخلاقهم وتقاليدهم الموروثة من مجتمعاتهم، فانعكست تلك الأخلاق على مجتمعهم الجديد، فاندمجوا وتعايشوا مع الآخر، بل وحملوا لواء إصلاح المجتمع على عاتقهم، فكانوا يناصرون الضعفاء ويطالبون بحقوقهم، ويتعقبون ألآمهم وأوجاعهم، فانطلقت رسالتهم الإنسانية التي أيقظت الرأي العام العالمي.

وكان من أهم رواد الأدب المهجري: أمين الريحاني، وجبران، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، والقروي، ونسيب عريضة، وأحمد زكي أبو شادي، وسواهم ممن نطق أدبهم باسمهم، وعبّر عن مشاعرهم وصوّر عواطفهم، ووصف غربتهم، وحنينهم والبلاد التي أقاموا فيها[١].

هؤلاء الرواد نظموا في كل غرض، وجالوا في كل وادٍ، فكان على رأس الموضوعات التي نظموا فيها والتي تبرز أخلاقهم: (الدعوة إلى الحب المطلق)، حيث نلمح في شعرهم صور التسامح والسلام في معاملة الآخرين، فهم لا يضيقون بتحديات الزمن، ولا يتبرمون بعداوة الناس وأحقادهم، ولكنهم يجدون في سمو نفوسهم وما تنطوي عليه قلوبهم من محبة صادقة

(١) ينظر: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه د/محمد عبد المنعم خفاجي ٣٢٥/١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

للناس وتعاطف مع آلآمهم[١]، فها هو (نسيب عريضة) تصدر عنه عاطفة صادقة تعلم الناس الحب والإخاء والصدق، يقول[٢]:

إن هذي الحياة أقصر من أن	***	تشغل المرء برهة بعلاله
فعلام الزحام والركض والحسـ	***	ـد علام الخصام؟ فيم الجهالة
فلنسر صاحبين في مهمة العيـ	***	ـش فنطوي وهادة وتلاله
يا ابن ودي يا صاحبي يا صديقي	***	ليس حبي تطفلاً أو ثقاله
فأجبني يا أخي يا صديقي	***	وأعد إنها ألذ مقالة

كما نظموا في (الحرية)، تلك التي شعروا بحقيقة معناها في العالم الجديد، يقول (أحمد زكي أبو شادي)، وهو يستقبل هذا العالم الجديد[٣]:

عرفتك ملجأ الأحرار دوماً سلطان سلطان سلطان إذا ما حورب الحر الشريد

كما نظموا في (الحنين إلى الوطن)، فطبعي أن يحن من يخرج من أرضه قهراً إلى مكان مولده، وملاعب صباه، وموطن أحبابه، يقول (فوزي معلوف) في الحنين إلى وطنه لبنان[٤]:

وا طُول أشواقي إلى الوادي	***	وادي الهوى والحسن والشعر
ملهى صباي ومهد ميلادي	***	وعسى يكون بِحِضْنِهِ قبري

(١) ينظر: الأداء الفني للظاهرة الإنسانية عند القلميين د/ عيد عبد الرحمن قناوي صـ٣١ طـ١: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م الناشر/ مطبعة مختار -أسيوط.

(٢) ينظر: ديوان الأرواح الحائرة لنسيب عريضة صـ١٤٨، نيويورك١٩٤٦م

(٣) ينظر: ديوان من السماء لأحمد زكي أبو شادي صـ١١٢، الناشر/ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٢م.

(٤) ينظر: ديوان فوزي المعلوف لفوزي المعلوف صـ١٣، الناشر/ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٢م.

كما نظموا في (وصف الطبيعة) تلك التي راعتهم بمشاهدها وبهـرتهم بجمالها، فخففت بعض ما تنوء به نفوسهم من ألآم، فانطلقوا بين جـداولها يصفونها ويتأملون الخالق في خلقه، يقول (ميخائيل نعيمة)[١]:

أشجار الغاب تحيّينا
وطيور الغاب تناجينا
الريح تمر بنا خببا
فيميس الحور لها طربا
والشمس بلطف تلثم أوجهنا
وتذرّ لنا ذهبا ذهـبا

إلى غير ذلك من الموضوعات التي تؤكد أن شعر المهجر إنمـا جـاء نتاجاً لأحاسيس سامية، وتعبيراً عن نوازع إنسانية، تكشـف عـن اتسـاع نظرتهم إلى الحياة، وعمق صلتهم بالمجتمع، وإحساسهم بضرورة التعاطف والتكافل بين أفراد المجتمع الواحد.

(١) ينظر: ديوان همس الجنون لميخائيل نعيمة صـ٤١، ٤٠ طـ٦: ٢٠٠٤م، الناشر/ مكتبـة نوفل –لبنان.

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

١١٦٦٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول

ثقافة التعايش مع الآخر من منظور "إيليا أبي ماضي"

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: إيليا أبو ماضي سيرته الذاتية والأدبية.

المطلب الثاني: ثقافة التعايش مع الآخر من منظور إيليا الأدبي.

المطلب الأول: إيليا أبو ماضي

سيرته الذاتية والأدبية

نسبه ومولده (١٨٨٩ -١٩٥٧م):

إيليا بن ضاهر أبي ماضي: من كبار شعراء المهجر، ومن أعضاء (الرابطة القلمية).

ولد في قرية (المحيدثة) بلبنان، وسكن (الإسكندرية) عام (١٩٠٠م) فاشتغل بالتجارة، وأولع بالأدب والشعر حفظاً ومطالعة، وهاجر إلى أمريكيا عام (١٩١١م) وأقام بنيويورك، فعمل في جريدة (مرآة الغرب)، وزار وطنه قبيل وفاته[١].

معتقده:

نقصد بمعتقد الشاعر هنا: نظرته إلى الحياة من جهة نظر الدين، فثمة حديث في الله –تعالى–، وفي الأنبياء والدين، وفي الجبرية، وفي القضايا الكبرى التي شغلت الفكر منذ أحس بوجوده على ظهر الأرض، نحو: "من أين جئت؟ مَن أنا؟ إلى أين أصير؟. . . . "[٢].

وعندما يعرض الشاعر الكبير لهذه القضايا الكبرى نجده يعالج موضوعاتها بشيء من اليسر والسهولة، دون أي تحرج، وكأنه يصف

---

(١) ينظر: الأعلام للزركلي (ت: ١٣٩٦هـ) ٣٥/٢ ط٥: ٢٠٠٢م، الناشر/ دار العلم للملايين، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣٧٥/١٣، الناشر/ مكتبة المثنى –بيروت، بدون طبعة وتاريخ.

(٢) ديوان إيليا أبو ماضي (شاعر المهجر الكبير) تقديم/ جبران خليل جبران تصدير دكتور/سامي الدهان، دراسة/ زهير مبرزا، ٨٥/١، الناشر/ دار العودة –بيروت.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

منظراً جميلاً، مما يومئ إلى أن اعتقاده لها لم يكن فيه تكلف أو تعنت أو مشقة، فهو بهذا قد جرى وفق طبيعته، وما يمليه عليه خاطره وفكره وعقله.

فمجمل آراء الشاعر لم نلمح فيها إلحاداً وكفراً، كما لم نلمح فيها إيماناً واضحا(١).

آثاره الأدبية:

أصدر إيليا ديوانه (تذكار الماضي) في مدينة (الإسكندرية)، الذي تألقت فيه موهبته الشعرية، وفي بلاد المهجر الأمريكي أخرج ديوانه (ديوان إيليا أبو ماضي) عام (١٩١٦م)، وطبع في نيويورك، ويشمل شعره التأملي والوطني والقصصي، ثم أصدر عام (١٩٢٧م) ديوانه (الجداول) الذي طُبع في (مرآة الغرب) في نيويورك، وقدم الديوان للقراء الشاعر (ميخائيل نعيمة)، وفي عام (١٩٤٦م) أخرج ديوانه (الخمائل)، وبقي من شعره مجموعات كبيرة لم تجمع في ديوانه، وقد ظهر له بعد وفاته ديوان جديد بعنوان (تبر وتراب)(٢).

خصائص شعره:

الأدب المهجري عامة وأدب إيليا خاصة أدب واقعي في أكثره، يتجاوب مع الحياة، كامل التفاعل مع الحضارة الأمريكية، فهو أدب مشغول بالحياة وجميع مقوماتها، متفاعل معها غاية التفاعل: وجدانياً وفكرياً بصورة إيجابية(٣).

---

(١) ديوان إيليا أبو ماضي صـ٨٦.
(٢) ينظر: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ٣٦٨/١: ٣٧٠.
(٣) ينظر: قصة الأدب المهجري د/محمد عبد المنعم خفاجي صـ١٤٥، طـ١٩٧٣: ٣، الناشر/دار الكتاب اللبناني –بيروت.

إن إيليا خالد في روائعه، وموسيقاه وطيف القصة وملامحها في شعره، وشتى ألوان الجمال التي يصطبغ بها شعره، وروح البساطة والوضوح والصدق التي ترفرف على قصائده، كلها من عناصر الخلود في أدبه، وقد لا يستطيع الشعر العربي أن يعرض الخسارة فيه بعد سنين طوال[١].

وفاته:

أخيراً، وفي يوم الأحد ٢٤ نوفمبر من عام (١٩٥٧م)، نُعي الشاعر إيليا، حيث توفى في نيويورك، فحزن العالم كله لوفاته، حزن لوفاة طفل قرية (المحيدثة) الغريب، وصاحب دكان السجائر في مصر، الذي عشق الأدب، وشاعر الطلاسم والطين، وغيرها من روائع القصيد، والذي أسهم في تطوير الشعر العربي من حيث الشكل والموضوع، حتى عُدَّ أحد رواد الحركة الشعرية الجديدة[٢].

(١) ينظر: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ٣٦٩/١.

(٢)ينظر: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ٣٦٩/١، ٣٧٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب الثاني:

ثقافة التعايش مع الآخر من منظور إيليا الأدبي

إيليا أبو ماضي كإنسان قبل أن يكون شاعراً لا يستطيع أن يعيش في دائرة مغلقة على نفسه وعواطفه الخاصة، فالإنسان العاقل هو من يجد نفسه مع الآخرين يشعر بآلامهم ويفرح لأفراحهم، فقد كان إيليا لسان الحال الناطق بهموم الإنسانية، الداعي إلى ضرورة التآخي، فالناس جميعاً إخوته في الإنسانية.

وإننا لنجد دعوته إلى التعايش مع الآخر مبثوثة في ثنايا أدبه، فدعا إلى التعايش مع الآخر؛ لأن الإنسان لا يمكنه العيش بمفرده، ودعا إلى اتخاذ الصاحب واحترامه والوقوف بجانبه، كما دعا إلى حسن التعامل مع الآخرين حتى وإن لم يحسنوا إليه، كما دعا إلى ثقافة الحوار في التعامل مع المرأة، كما أنه ثار على التعصب الديني فالجميع إخوة في الإنسانية، فجاءت دعوته ترفع من قدر الإنسانية بأكملها، كما أنها تجعله مثالاً يحتذى به أمام غيره من البشر، ليقلدوه ويحذو حذوه.

فأول قاعدة يرسخها إيليا تجبر البشر على التعايش واحترام الآخر، أن الجميع من ماء وطين، لا فرق بين غني وفقير، فَلِمَ التعالي والغرور، والجميع من أصل واحد، فنراه يقول في أنشودته الخالدة (الطين)[١]:

نسي الطين ساعة أنه طين * حقير فصال تيها وعربد**
وكسي الخز جسمه فتباهى * وحوي المال كيسه فتمرد**

(١) ينظر: ديوان إيليا أبو ماضي ٣١٦/٢.

يا أخي لا تمل بوجهك عني * ما أنا فحمة ولا أنت فرقد**

لقد كان هدف الشاعر من تلك القصيدة دعوة الإنسان إلى نبذ التكبر والغرور، ببيان أصله الذي خُلِق منه هو وبني جنسه، وهذا بهدف إصلاح الفرد حتى يصلح المجتمع بأكمله.

ثم نراه بعد أن أكد أن الجميع من أصل واحد يهاجم الأغنياء الذين لا يشعرون بغيرهم، فيتحدث إليهم بنبرة ثائرة تنعي عليهم انغماسهم في الشهوات والأهواء دون ارتعاد لصيحات الفقراء وأنات المتوجعين، فيقول في قصيدة (كلوا واشربوا)[١]:

كلوا واشربوا أيها الأغنياء * وإن ملأ السكك الجائعون**
ولا تلبسوا الخز إلا جديداً * وإن لبس الخِرَق البائسون**
وحوطوا قصوركم بالرجال * وحوطوا رجالكم بالحصون**
فلا تبصرون ضحايا الطوى * ولا يبصرون الذي تصنعون**

وتعلو نبرته الخطابية التي تؤكد اهتمامه بالفقراء والمستضعفين، وحرصه على إقامة العدالة الاجتماعية، فالشاعر يدعو لنصرة الفقراء والمستضعفين والوقوف بجانبهم، فنراه يقول[٢]:

انصر أخاك فإن فعلت كفيته * ذل السؤال ومنة البخلاء**
أذوى اليسار وما اليسار بنافع * إن لم يكن أهلوه أهل سخاء**
كم ذا الجحود وما لكم رهن البلا * وبم الغرور وكلكم لفناء**
إن الضعيف بحاجة لنصاركم * لا تقعدوا عن نصرة الضعفاء**

---

(١) ينظر: ديوان إيليا أبو ماضي ٣/٧٦١.
(٢) المرجع السابق ١/١٠٧،١٠٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي مقابل ذلك نرى إيليا يمتدح الكرماء الذين يشعرون بغيرهم، ولا يشعرون بأنفسهم إلا وهم بين إخوتهم، فنراه يقول(١):

إن الكريم لكالربيع، تحبُّه للحسن فيه
وتهش عند لقائه، ويغيب عنك فتشتهيه
لا يرتضي أبداً لصاحب الذي لا يرضيه

فإيليا هنا لا يقصر الكرم على المال بل شمله كل الصفات التي تجعل الكريم يحبه الناس جميعاً ويفرحون لرؤيته.

وبهذه القواعد الثابتة التي رسخها إيليا للإنسانية، ينطلق بشعره للحديث عن فلسفة الحياة، وما على الإنسان فعله لكي يعيش بسلام مع الآخرين، فنراه يقول في قصيدته (فلسفة الحياة)(٢):

وتعلم حب الطبيعة منها * واترك القال للورى والقيلا**
فالذي يتقي العواذل يلقى * كل حين في كل شخص عذولا**
أنت للأرض أولاً وأخيراً * كنت ملكاً أو كنت عبداً ذليلاً**
لا خلود تحت السماء لحيٍّ * فلماذا تراود المستحيلا.. ؟**

فالشاعر هنا يدعو البشرية جمعاء إلى حب الحياة والعيش فيها بسلام، وترك كل ما يعكر صفوهم، فالحياة زائلة، وكل إنسان مآله إلى التراب، سواء أكان ملكاً أم عبداً.

كما يرى إيليا أن الإنسان في هذه الحياة مضطراً إلى مخالطة بني جنسه ممن حوله، ما دام يعيش بينهم ويتنفس هواءهم، فالناس جميعاً ليسو

(١) المرجع السابق ٣/٨٤٩.
(٢) ينظر: ديوان إيليا أبو ماضي ٣/٦٠٥.

إلا ذاتاً واحدة تفرقت في ذوات متعددة، فالإنسان عليه أن يتم تلك الحياة المقدرة له ما دام قد خُلق إنساناً كسائر الناس، يصرح بذلك في قصيدته (في القفر)، قائلاً[١]:

علمتني الحياة في القفر(٢) أني *** أينما كنت ساكن في التراب
وسأبقى ما دمت في قفص *** الصلصال عبد المنى أسير الرغاب
خلت أني في القفر أصبحت وحدي *** فإذا الناس كلهم في ثيابي

ومما يؤكد هذا المعنى أن الشاعر الكبير (ميخائيل نعيمة) حينما كتب مقدمة ديوان (الجداول) لإيليا أبي ماضي جعل المحور الأصيل لهذه المقدمة بل محور إعجابه بشعر أبي ماضي كله البيت الثالث الذي يؤكد على فكرة (وحدة الوجود) وأن الناس جميعاً ليسوا إلا ذاتاً واحدة تفرقت في ذوات متعددة، وأن الإنسان مهما حاول الفرار من هذه الحقيقة فإنه لا يستطيع[٣]، لذا فهو مجبور على التعايش مع الآخر.

ويتحدث إيليا عن تعايشه في أمريكيا، ويقدم لغيره مثالاً يحتذى به في التعايش مع الآخر إذا أجبرته الظروف الفرار عن موطنه الأم، فنراه يقول[٤]:

أيها السائل عني من أنا *** أنا كالشمس إلى الشرق انتسابي
لغة الفولاذ ضاهت لغتي *** لا يعيش الشدو في دنيا اصطخاب
لست أشكو إن شكا غيري النوى *** غربة الأجسام ليست باغتراب

(١) ديوان إيليا أبو ماضي ١/١٥٠.
(٢) القفر: الخلاء من الأرض (ينظر: لسان العرب ٥/١١٠ (فصل القاف، مادة: قفر)).
(٣) ينظر: الأداء الفني للظاهرة الإنسانية عند القلميين د/ عيد عبد الرحمن قناوي صـ٢٣.
(٤) ينظر: ديوان إيليا أبو ماضي ١/١٥٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالشاعر هنا يعلن أنه في أمريكيا كالشمس التي تشرق في أي مكان، وإن كان انتسابه إلى الشرق، فهو يعيش في أمريكيا، ويتحدث بلغتهم، ولا يشكو غربة ولا اغتراب حتى وإن شكا غيره، فمن وجهة نظره أن غربة الجسد ليست بغربة.

ثم نراه يتحدث عن احتضان الآخرين له في الأوطان المتعددة التي طاف بها، والذين قدموا للإنسانية نموذجاً حياً في قبول الآخر، فبهذا الحس الإنساني وبهذا التمازج مع الآخرين تكتمل الحياة، تلك الحياة التي بدأت بآدم وبجانبه حواء، وليس بآدم وحده، فيقول(١):

شكراً لكل فتى مزجت بروحه	***	روحي فطاب ولاؤه وولائي
من كان يحلم بالسماء فإنني	***	في قلب إنسان وجدت سمائي
ليس الجمال هو الجمال بذاته	***	الحسن يوجد حين يوجد رآه
ما الكون؟ ما في الكون لولا آدم	***	إلا هباء عالق بهباء
وأبو البرية ما أبان وجوده	***	وأتم غايته سوي حواء

ففي هذه الأبيات يبدأ شاعرنا بتقديم الشكر لكل من احتضنه وتعايش معه، فتلك ثمة الحياة التي تقوم على التمازج والتعايش بين الإنسانية جمعاء، ودليل ذلك أن الكون بدون آدم لم يكن إلا هباء، وآدم لم يتمكن من التعايش فيه إلا وبجانبه حواء.

ويظهر شعور إيليا بوضوح تجاه الآخرين، فيصور لنا إحساسه النابض بمحبة الآخرين ممن عاش بينهم، فيقول(٢):

---

(١) المرجع السابق ١/١١١.

(٢) ينظر: ديوان إيليا أبي ماضي ٣/٧٢٥.

أحببتكم حب إنسان لإخـــوتـه *** إذ ليس بينكم فوقي ولا دونـــي
إن كان فيكم قوي لا يقاهـرنـي *** أو كان فيكم ضعيف لا يداجيني
قل لامرئ مثل قارون بثـــروتـه *** إني امرؤ بصحابي فـــوق قارون
من يكتسب صاحباً تبق مودتـــه *** فهو الغـــــني به لا ذو الملايين
فاختر صاحبك وانظر في اختيارهم *** إلى الطبائع قبـــل اللون والدين

ففي هذه الأبيات أبان إيليا عن منهجه في تعامله مع الآخـرين، فهـو يحب الجميع ويقبلهم كإخوته، وفي الوقت نفسه يدعو لاصطفاء الصاحب من بينهم، فالصاحب هو السند والعون عندما يتخلى الجميع عنه، وهـو الـذي يغنيه عن صاحب المال والسلطان، كما دعا الإنسان عند اختياره صاحبه أن يراعي الصاحب ذو الأخلاق قبل النظر للدين واللون.

ويلخص إيليا دعوته للتعايش مع الآخرين في قصيدته (كـن بلسـماً) التي يدعو من خلالها الإنسان إلى حسن التعامل مع الآخرين حتى وإن لـم يحسنوا إليه، فيقول[١]:

كن بلسماً إن صار دهرك أرقماً *** وحـــلاوة إن صار غيرك علقماً
إن الحياة حبتك كل كنوزهـا *** لا تبخلن على الحياة ببعض ما. .
أحسن وإن لم تجز حتى بالثنـــا *** أيَ الجـــزاء الغيث يبغي إن همي؟

فإيليا هنا يأمر مخاطبه على سبيل النصح والإرشاد بأن يكون بلسـماً مع الآخرين، حتى وإن لم يحسنوا إليه، فأقل ما يقدمه الإنسان للحياة التـي وهبته كل كنوزها أن يحسن إلى الآخرين الذين يعيشون معه عليها، ويختتم كلامه بأمر مخاطبه بالإحسان إلى الآخرين حتى وإن لم يحسنوا إليه، ليكون

(١) المرجع السابق ٣/٦٥٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مثل المطر الذي ينزل على الجميع بالخير دون أن ينتظر منهم ثناءً على خيره وبركته.

فجملة "حتى بالثنا" توحي بالتقليل، فهو يطلب من مخاطبه الإحسان إلى الآخرين حتى وإن لم يجد إلا القليل في مقابل ذلك.

ويمضي إيليا في تلك القصيدة حتى يصل إلى دعوة البشرية إلى الحب والإخاء فيما بينهم، فنراه يقول(١):

أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا *** لولا الشعور الناس كانوا كالدمي

أحبب فيغدو الكوخ كونا نيراً *** أبغض فيمسي الكون سجناً مظلماً

ما الكأس لولا الخمر إلا زجاجة *** والمرء لولا الحب إلا أعظماً

فهنا يدعو البشرية إلى الحب والإخاء، وإيقاظ القلب دائماً بالحب للآخرين، فإن الشعور بالحب يبعث في القلب الحياة، ويؤكد لهم أنه لولا الحب لاستحال الناس إلى دمي صماء لا تشعر بالحياة، بل تغدو الحياة بالنسبة لهم سجناً كبيراً مظلماً لا أمل في الخروج منه.

وتظهر لنا إنسانية إيليا في دعوته إلى ثقافة التعايش مع الآخر، أنه دعا إلى حسن المعاملة حتى مع العدو، فنراه يقول في قصيدته (البغضاء)(٢):

لا نبغض "الروس" لكن لا نحبهم *** فحربنا حرب أقران لأقران

ولا "الفرنسيس" ما هم بالعداة لنا *** لكنهم غير أصحاب وإخوان

إنا نبادلهم والنقع منسدل *** طعناً بطعن ونيراناً بنيران

(١) ينظر: ديوان إيليا أبي ماضي ٣/٦٥٨.

(٢) المرجع السابق ٣/٧٠١.

فالشاعر هنا يدعو للتعايش مع الآخر واحترامه، حتى وإن كان هذا الآخر عدو محتل، فلا نبادره بالبغض والكره، فهذا دليل ضعف وهوان، بل نقبله كما هو ونتعايش معه، وإن بادرنا وقاتلنا نقاتله، ونقف صفاً في مواجهته.

لذا نراه في قصيدة أخرى يذم الحرب والقتال، ويبين لنا أنها من وساوس الشيطان، لأن الجميع في الأوطان إخوة، ولا يحل القتال بين الإخوان، وهذا مما يؤكد نظرته السابقة التي تدعو للتعايش مع الآخر حتى وإن كان عدواً، فيقول(١):

يا صاحبي ليس الوغى من مذهبي	***	هاتيك وسوسة من الشيطان
فالناس إخوان وليس من النهى	***	أن يفتك الإخوان بالإخوان
إن كان قتل النفس غير محرم	***	ما الفرق بين المرء والحيوان؟

إلى جانب حسن المعاملة والتعايش مع الآخر حتى ولو كان عدواً، دعا إيليا إلى مسامحة المذنب، فالمسامحة أقوى دليل على دعوته إلى التعايش مع الآخر، فنراه يقول(٢):

فأحسن إليهم وإن أخطأوا	***	وكن كالحيا يُمطر السبسبا(٣)
إذا لم تسامح وأنت الكريم	***	فمن ذا الذي يرحم المذنبا؟

فالشاعر يأمر مخاطبه بالإحسان إلى المذنب، وهذا أقوى دليل على دعوة الشاعر إلى التعايش مع الآخر، بل ويدعوه إلى أن يكون كالمطر الذي

---

(١) المرجع السابق ٣/٦٩٦.

(٢) ينظر: ديوان إيليا أبي ماضي ١/١٧٥.

(٣) السبسب: الأرض الجدبة (ينظر: لسان العرب ١/٤٦٠ (فصل السين المهملة، مادة: سبب)).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ينزل ويسقي الأرض الجدبة، فهو يعطي دون مقابل، ثم يصفه بالكريم، فإذا لم يسامح الكريم المذنب فمن الذي يسامحه.

وثمة إحساس بالوطن الأم، نرى إيليا وهو في المهجر يمتدح وطنه لبنان بحسن التعايش مع الآخرين من الغرباء، وحسن استقبالهم له، فتلك سمة الأوطان العربية التي شعر بها الشاعر قبل أن يلمسها بنفسه في بلاد المهجر، وهذا من دواعي اهتمامه بنشر تلك الثقافة في التعامل مع الآخر، حتى تخلدها صفحات الأدب للأجيال المتعاقبة، فنراه يقول في قصيدته (في سبيل الإصلاح)[١]:

حيا الصبا عني رُبى لبنان	***	حيث الهوى ومراتع الغزلان
ورعى المهيمن ساكنيه فإنهم	***	في خير أرض خيرة السكان
قوم صفت أخلاقهم ووجودهم	***	فالحسن مجموع إلى الإحسان
قوم إذا زار الغريب بلادهم	***	جعلوه منهم في أجل مكان

بدأ الشاعر بمناجاة الطبيعة وإشراكها أحاسيسه، فناجي ربى لبنان موطن صباه، ووصف أرضها بأنها خير أرض وسكانها خير سكان، ويوضح سبب كونهم خير سكان؛ حسن استقبالهم للغريب، وحسن تعايشهم مع الآخرين.

ثم يميل الشاعر إلى مصر التي قضى فيها زمنا في بداية حياته، فمدح أهلها بحسن استقبالهم للآخر، وكيف أنهم ملكوا فؤاده بحسن استقبالهم له،

(١) ينظر: ديوان إيليا أبي ماضي ٣/٧٠٥.

وطبعوا في قلبه وداداً لم ينساه على مر الأيام، فنراه يقول في قصيدته (مصر والشام)[١]:

ولولا أن في مصر مُقامي *** لعمر أبيك ما طال المقام
مضى عام عليّ بأرض مصر *** وذا عام وسوف يجيء عام
وما مصر التي ملكت فؤادي *** ولكن أهلها قوم كرام

فالشاعر هنا يمدح مصر التي أقام بها عام بعد عام، ويبين لنا أن مدحه لمصر ليس لأن مصر هي التي ملكت فؤاده؛ بل لأن أهلها هم السبب في حبه هذا لمصر، فأهلها يحسنون التعايش مع الآخر، فإكرامهم له ووداده باق على مر الأيام ولم ينساه.

وهنا يستعمل الشاعر لتأكيد كلامه أسلوب التوكيد بالقسم في قوله: (لعمر أبيك)، فكأنه يقسم أنه لولا إقامته بمصر في يوم من الأيام ما طال مقامه، ولا بقي وزار الكثير من الأوطان.

ثم ينتقل إيليا ليرسخ لنا ثقافة التعايش والتعامل مع المرأة، فالمرأة كيان واجب احترامه؛ لما لها من دور في تطور المجتمع البشري، فنراه يقول في قصيدته (الرجل والمرأة)[٢]:

إلى مَ تحتقر الغادات بينكم *** وهنَّ في الكون أرقى منكم رتبا
كن لكن سبباً في كل مكرمة *** وكنتم في شقاء المرأة السببا
زعمتم أنهن خاملات نهى *** ولو أردن لصيرن الثرى ذهباً

(١) ينظر: ديوان إيليا أبي ماضي ٦٢٩/٣.
(٢) المرجع السابق ١٧٢/١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالشاعر هنا يوضح مكانة المرأة، ويدعو الرجال إلى احترامها، وعدم احتقارها، فهي أعلى مكانة ومرتبة، بل وتعتبر المرأة سبباً أساسياً في كل مكرمة من مكارم الحياة السعيدة، وأن اتهامها بالخمول والكسل لهو افتراء وكذب، فالمرأة بإمكانها تصيير التراب ذهباً.

ويتجلى إحساس إيليا بثقافة التعايش مع الآخر، ويزداد تفاعله بها من خلال رفضه للتعصب إلى فئة أو مذهب بعينه، فهو يعلنها صراحة أنه إنسان حر من كل نزوة تشوه إنسانيته، وهو مع كل الأحرار وعلى مذهبهم، فهو أبعد الناس عن التعصب والفرقة، فيستهل قصيدته (أنا) بتوضيح ذلك، فيقول(١):

حرّ ومذهب كل حرّ مذهبي *** ما كنت بالغاوي ولا المتعصب
إني لأغضب للكريم ينوشه *** من دونه وألوم من لم يغضب
وأحب كل مذهب ولو أنه *** خصمي وأرحم كل غير مهذب

فالشاعر هنا يعلن مذهبه تلافياً للتعصب والطائفية، فهو حر في مذهبه ويحترم كل المذاهب حتى خصومه، فهو بذلك يرسخ قاعدة الحرية المذهبية، ويكشف لنا عن مذهبه الإنساني الذي يؤهله ويؤهل الجميع للتعايش مع الآخرين بمودة وسلام.

كما نرى إيليا وهو يثور على التعصب الديني، بل يصل إلى درجة الإعراض عن هذه الخلافات، ويتخذ من الطبيعة كتابه ودينه، ولعل هذا ثورة

(١) ينظر: ديوان إيليا أبي ماضي ١/١٤٥.

منه وانفعال ضد الإنسان الذي زيف القيم[١]، فنراه يقول في قصيدته (كتابي) رداً على زوجته حين سألته عن مذهبه، فيقول[٢]:

وسائلة: أي المذاهـــب مذهبي *** وهل كان فرعاً في الديانات أم أصلاً
وأي نبي مرســـل اقتـــدي به *** وأي كتاب منزل عنـــدي الأغلى؟
فقلت لها: لا يقتني المرء مذهباً *** وإن جلّ إلا كـــــان في عنقه غُلاّ
أنا آدمي كان يحســـب أنه *** هو الكائن الأسمى وشرعته الفضلى
وإن له الدنيا التي هو بعضـــها *** وأن له الأخـــــرى إذا صام أو صلى

فالشاعر هنا يعتمد على الحوار الذي دار بينه وبين زوجته، ليفصح عن مذهبه، ويؤكد أن المرء لا يقتن مذهباً خاصاً به، ولا يوجد فرع في الديانات وأصل، بل يقاس الإنسان بحسن أعماله وأفعاله.

ثم ينتقل في القصيدة نفسها، ليذم رجال الدين الذين يعظون، وهم ليسوا أهلا لذلك، فيقول[٣]:

نهاني عن قتل النفوس وعندمـا *** رأى غرّة مني تعـلم بي القتلا
وذم إلى الرق ثم استرقنـــــــي *** وصور ظلما فيه تمجيده عدلا
وكاد يريني الإثم في كل ما أرى *** وكل نظام غير ما سن مختلا

يرى الشاعر هنا في صورة رجال الدين التي أثارت قريحته طريقاً لحرية الاعتقاد، التي ينادي بها، فهؤلاء ينهون عن قتل النفوس، ولكن إذا ما تمكنوا من غرته تعلموا به القتل، كما أنه نعى عليهم ذمهم للرق، وهم

(١) ينظر: أدب المهجر (دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري) د/ صابر عبد الدايم صـ٢٧.
(٢) ينظر: ديوان إيليا أبي ماضي ٥٩٨/١.
(٣) ينظر: ديوان إيليا أبي ماضي ٥٩٨/١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يسترقون ويستعبدون ويظلمون، حتى وصلوا أنهم يرون الإثم في كل ما حولهم، بل وكل نظام غير نظامهم يعد مختلاً.

ثم يعلن رفضه القاطع لما يرى من تناقض، فيلجأ إلى الطبيعة؛ ليأخذ منها الدروس والعبر، فيقول(١):

فأصبح رأيي في الحياة كرأيها *** وأصبحت لي دين سوى مذهب قبلا
وصار نبي كل ما يطلق العقلا *** وصار كتابي الكون لا صحف تتلى
فديني كدين الروض يعبق بالشذى *** ولو لم يكن فيه سوى اللص منسلا
وديني الذي اختار الغدير لنفسه *** وبأحسن ما اختار الغدير وما أحلى!
وديني كدين الشهب تبدو لعاشق *** وقال، وفيها ما يحب وما يُقلي
وديني كدين الغيث إن سحّ لم يبل *** أروى الأقاحي أم سقى الشوك والدفلى

فالشاعر هنا يرفض التناقض فيندمج مع الطبيعة، ويتسع قلبه للناس جميعاً، ويبذل لهم حبه، لا يفرق بين أحد منهم كالنجم الذي يضيء للجميع، والنهر الذي يسقي الجميع، والطل الذي يزين الورد والأشواك، والأرض التي تغذي كل النباتات(٢)، فقد أقر بذلك كله.

وبهذه الروح الإنسانية الواسعة، المتعايشة مع غيرها اصطبغ أدب إيليا، فجاء شعره تعبيراً سامياً عن نوازع إنسانيته، وثقافته في التعايش مع الآخر، فكان نبراساً يضيء الحياة الإنسانية جمعاء.

نخلص من ذلك إلى مجموعة من الضوابط التي وضعها إيليا للتعايش مع الآخر، ومنها:

---

(١) المرجع السابق ١/٥٩٩.
(٢) ينظر: أدب المهجر د/صابر عبد الدايم صـ٢٧١.

- الاحترام المتبادل بين الجميع، والشعور بالحب تجاه الآخر، فالجميع من أصل واحد لا فرق بين عربي وأعجمي، غني وفقير.
- التعايش السلمي بين الأوطان، فالأفراد لهم حق التعايش مع غيرهم في الأوطان الأخرى، في ظل الظروف والأزمات التي تتعرض لها بلادهم.
- مصاحبة الجميع بحب وسلام، وحسن اختيار الصديق دون النظر للدين واللون.
- احترام العدو وعدم مبادرته بالعداوة، إلا إذا بادرنا بالقتال، فنبادره دفاعاً عن النفس.
- الحرية الدينية، واحترام كافة المذاهب، فكل إنسان حر في اعتقاده ومذهبه، وله حق الاحترام، والعيس بسلام،
- احترام المرأة وحسن التعامل معها، فالمجتمع نسيج متكامل لا ينبغي التقليل فيه من شأن المرأة التي هي أساسه.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني

الخصائص العامة لنظرة إيليا الأدبية

إن من دواعي صدق إيليا في نظرته الأدبية تجاه الآخر هي: تعايشه في أمريكيا، وطن غير وطنه، ومجتمع غير مجتمعه، وتقاليده غير تقاليده التي فُطر عليها، إلى جانب ذلك تأتي الخصائص العامة والمقومات الفنية التي تعضد فكرته وتجليها للمتلقي.

وبعد دراستنا لنظرته الأدبية تجاه الآخر، وجدنا أن الخصائص العامة عنده تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: **من حيث المضمون**:

إن من أهم ما يميز شعر إيليا عامة ونظرته للآخر خاصة من جهة المضمون ما يأتي:

أولا- شعوره الإنساني السامي والتصاق شعره بالحياة والإنسان، كما يتميز شعره بالحيوية والطواعية، وهذا ما جعله بحق شاعراً مثالياً، متفائلاً بالحياة، هادفاً إلى سعادة الإنسان والمجتمع.

ثانياً- جاءت قصائده نابعة من صميم قلبه، صادرة من شغاف فؤاده، تنبض جميعها بالحياة، والأمل، والرجاء، إذ يشعر كل قارئ لها أو مستمع إليها، أنها تعبر عن إرادته وشعوره هو، أو أنها تتحدث بالنيابة عنه، فهي تخاطبه روحاً وعقلاً وشعوراً، سواء في شعره الإنساني والتأملي، أو في شعره الوجداني الاجتماعي[١].

(١) ينظر: إيليا أبو ماضي شاعر السؤال والجمال، تأليف/ خليل برهومي، صـ٥٦، الناشر/ دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، بدون طبعة وتاريخ.

ثالثاً- مناجاة الطبيعة لتدعيم فكرته، وإيصالها للمتلقي في صورة حية نابضة، فقد وجدناه وهو يمدح وطنه (لبنان) بحسن قبول الآخر من الغرباء يستند على عناصر الطبيعة، فيقول(١):

حيا الصبا عني ربي لبنان *** حيث الهوى ومراتع الغزلان

القسم الثاني: من حيث الشكل:

لما كانت قضية الشاعر بحاجة إلى إقناع المتلقي، رأيناه قد استند على العديد من القيم الشكلية التي تأيد نظرته، لذا تميزت نظرته للآخر من حيث الشكل بعدة خصائص من أهمها:

أولاً- من حيث القيم التعبيرية:

ويقصد بها الطريقة التعبيرية التي اعتمد عليها الشاعر في تقديم فكرته للمتلقي، وهي تتحقق من خلال:

١- اللغة:

إن من أولى خصائص الشعر (اللغة)؛ ذلك لأن لغة الشعر هي لغة العاطفة، التي تعتمد على شعور الشاعر بنفسه، وبما حوله شعوراً يتجاوب هو معه، فيندفع إلى الكشف عن خبايا النفس، أو الكون استجابة لهذا الشعور.

فالكلمات والعبارات في الشعر يقصد بها بعث صور إيحائية، وفي هذه الصور يعيد الشاعر إلى الكلمات قوة معانيها التصويرية الفطرية في اللغة(٢).

(١) ينظر: ديوان إيليا أبي ماضي ٣/٧٠٥.
(٢) ينظر: النقد الأدبي د/ محمد غنيمي هلال صـ٣٥٧، الناشر/ دار نهضة مصر للطباعة ١٩٩٧م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فأول ما يميز لغة الشاعر أنها جاءت لغة فصحى سلسة واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض، مما مكنه ذلك من حشد أفكاره التي تثرى جوانب تجربته الإبداعية.

فيستوقفنا من مظاهر اللغة التي استند إليها إيليا: المعجم اللغوي للشاعر، فقد جاء معبراً عن فكرته، من حيث قيامه على عدة حقول دلالية يمكن التمثيل لها على النحو الآتي.

* حقل الطبيعة : نحو: (القفر، التراب، الشمس، الغيث، الروض، الشذى، الغدير، الشهب،. . . . وغيرها).

* حقل المدينة: ومنه: (عالم الناس)، وذلك نحو: (يا أخي، أخاك، أهلوه، الناس، أقران، أصحاب، إخوان، يا صاحبي، قوم، جارهم، العادات،. . وغيره).

* حقل التراث الشعبي: وهذا يشمل الألفاظ المستقاة من التراث نحو قوله: (الدمى، قوم كرام، الديانات، أي نبي، الرق،. . . وغيرها).

إلى جانب المعجم الشعري الذي اختاره الشاعر، تأتي اللغة الشعرية التي تنبض بحسه الذوقي تجاه الآخر، فكل كلمة وكل لفظة تحمل دلالة معينة تؤكد نظرته تجاه الآخر، فحين يقول: (يا أخي) كلمة تحمل حميمية وحب صادق للآخر، فهو ليس شخصاً عادياً بل هو أخ له.

ويحين يستخدم لفظة: (لا تمل)، دون غيرها مثل (لا تولي)، فهو لا يريد من أخيه هذا حتى مجرد الميل بعيد عنه، أترى أصدق من هذا وأدل على رهافة الحس.

كما تحس بصدقه وحسن صحبته للآخر، حين يأمرنا بقوله: (كن بلسماً)، فهو يأمر كل شخص أن يكون بلسماً تجاه الآخر حتى لو لم يحسن الآخر إليه.

وحين يستخدم كلمة: (يا صاحبي) في أكثر من موضع؛ لما لها من إيحاء بالقرب والمحبة للجميع، فالصاحب هو المرافق والملازم في الإقامة والسفر، حتى ولو لم يكون صديق.

كما أن الحس اللغوي الدقيق لشاعرنا جعله يستخدم كلمة: (مذهب)، في قوله: (وأحب كل مذهب)، فهي كلمة تؤدي دلالتها وتقوم بمعناها، فهو يدرك اختلاف العقائد والمذاهب، لذا حدد موقفه تجاه الآخرين، فهو يحب الجميع حتى وإن اختلفوا معه في المذهب.

كذلك لجأ إيليا إلى استخدام (الرمز) كوسيلة من وسائل التعبير غير المباشر، فقد أسهم الرمز في أثراء نسيجه اللغوي، فمثلاً وجدناه يستخدم لفظة: (الطين) في الدلالة على الإنسان؛ ليرمز بذلك إلى أصله الحقير، فيمنع بذلك غروره وكبريائه على بني جنسه.

كما نجد عنوان قصيدته (في القفر) يرمز إلى فكرة (وحدة الوجود)، فالإنسان لا يمكنه العيش بمفرده، حتى وإن كان في أرض خالية من الناس، فبإمكانه أن يخلق من ذاته عدة ذوات.

فإيليا هنا بحسه الدقيق أدرك مواطن الإيحاء اللغوي، فاستخدم من وسائل التعبير ما يجعل فكرته جلية واضحة أمام المتلقي.

هكذا أولى إيليا اللغة اهتمامه بالقدر الذي يؤيد فكرته ويوصلها للمتلقي، دون تمعن أو تدقيق، والبحث عن الغامض الغريب، فهذا إن دل

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إنما يدل على اهتمام المهجريون وخاصة إيليا بالمعاني والأفكار التي تعضد سلامة الفرد والمجتمع، وفي ذلك يظهر تأثرهم بالمدرسة الرومانتيكية؛ "لأن الرومانتيكية تفضل المضمون على الشكل وتجيد استعمال اللغة البسيطة، والألفاظ المألوفة، ومتأثرون -كذلك- بالحرية والتحرر في البيئة الجديدة التي استوطنوها. . . ، ومن ثم يدرك الإنسان قيمه جهاد المهجريين عامة في خلق أدبهم، حيث عبروا عن أدبهم بلغة عربية صميمة أولاً، وقبل كل شيء، ولكنها كانت موضع دهشة واستغراب وإعجاب معاً بين أدباء المشارقة[١]".

لذا يمكننا أن نقرر ونقول: لقد وظف الشاعر لغة سهلة تحمل دلالات معبرة عما يدور بداخله، مدعمة لفكرته تجاه الآخر دون تكلف أو تمعن.

٢- الأسلوب:

ساهم الأسلوب في توضيح فكرة الشاعر، فقد تنوع الأسلوب عنده إلى أساليب خبرية وأساليب إنشائية، إلا أننا نلحظ من خلال دراستنا لثقافة التعايش عنده هيمنة الأساليب الإنشائية؛ لما لها من قدرة في جذب انتباه السامع، وإثارة ذهنه وتشويقه، فمثلاً نراه يقول: (يا أخي لا تمل بوجهك عنى)، فقوله: (يا أخي) أسلوب نداء يفيد المشاركة في الأخوة الإنسانية، وقوله: (لا تمل) أسلوب نهي يفيد النصح والإرشاد.

وكذلك قوله: (انصر أخاك)، وقوله: (أحسن وإن لم تجز)، أسلوبا أمر الغرض منهما: النصح والإرشاد.

---

(١) ينظر: الأداء الفني للظاهرة الإنسانية عند القلميين د/ عيد عبد الرحمن قناوي صـ٧٢.

كذلك: (أيقظ شعورك بالمحبة)، و(أحبب فيغدو الكوخ نيراً)، أسلوبا أمر الغرض منهما النصح والإرشاد.

كذلك استخدم أسلوب الاستفهام في قوله: (فلماذا تراود المستحيلا؟)، أسلوب استفهام الغرض منه التعجب.

فلولا تعاضد تلك الأساليب الإنشائية لما وصل الشاعر لمراده من مناجاة الآخرين، ونصحهم بالتعايش مع الآخرين، فالجميع أخوة في الإنسانية.

هذا إلى جانب الأساليب الخبرية كقوله: (إن الحياة حبتك كل كنوزها)، وقوله: (فالناس إخوان)، فهي أساليب خبرية الغرض منها تقرير المعنى.

إلى غير ذلك من الأساليب الخبرية التي تعاضدت مع هيمنة الأساليب الإنشائية؛ لتأكيد نظرته تجاه الآخر.

كما لجأ إيليا لأسلوب الحوار، فقد وجدناه يقول: (قل لأمرئ مثل قارون)، وقوله: (فقلت: لها لا يقتني المرء مذهباً)، فهذا إيمان من الشاعر بدور الحوار في استحضار الفكرة، وحيوية الصورة، إلى جانب قدرة الشاعر على توظيف عناصر السرد في تشكيل جمالية أسلوبه الشعري.

كما تنوعت دلالات الزمن في أسلوبه، فجاء الزمن عنده ليكشف عن هيمنة الفكرة، وسيطرتها على وجدان صاحبها، فقد رأيناه في قصيدة: (في القفر)، قد تنقل بين الماضي والمستقبل، وذلك في قوله: (علمتني الحياة) انتقل من الماضي إلى قوله: (سأبقى ما دمت) المستقبل، وهذا إن دل فإنما يدل على ثبات موقفه وفكرته على مدار الزمن.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكذلك نراه في قصيدة: (مصر والشام) تنقل بين الماضي والمستقبل؛ ليدل كذلك على موقفه الثابت تجاه الآخر، مهما مضى من أعوام، فنراه يقول: (مضى عام علىّ بمصر)، إلى قوله: (وسوف يجيء عام).

هكذا كان لشاعرنا أسلوباً خاصاً مليئاً بالإحساس الصادق تجاه الآخر، معبراً أصدق تعبير عن شخصيته وفكرته، ومبرهناً على مقدرته الإبداعية.

٣- **الصورة الشعرية**:

إذا انتقلنا إلى دراسة وتحليل الصور الشعرية التي حاول الشاعر من خلالها تصوير تجربته الإبداعية، وجدناها مغرقة في الخيال، لابتكار صور من الواقع.

فقد ظهرت الصورة الشعرية بجوانبها الثلاث من: تشبيه، واستعارة، وكناية.

فالتشبيه: أسهم في توضيح الفكرة، وتجليتها للمتلقي، فمثلاً نرى في قوله: (كن بلسماً) تشبيه بليغ، حيث شبه مخاطبه بالبلسم، وحذف أداة التشبيه، ووجه الشبه.

وفي قوله: (صار دهرك أرقماً) تشبيه، فقد شبه الزمن الغادر بالثعبان الأسود، وهذا تشبيه يدل على مدى قسوة الزمن.

وفي قوله: (صار غيرك علقماً) شبه الإنسان الحاقد بالنبات المر؛ ليبين ويوضح شدة المرارة من تصرفاته.

وقوله: (كانوا كالدمي) تشبيه، حيث شبه الإنسان المتلبد المشاعر بالدمي الجامدة، والغرض من ذلك توضيح الفكرة للمتلقي.

وتتجلى بلاغة التشبيه في قصيدة: (كتابي) التي أعلن من خلالها رفضه للتعصب الديني، ففيها: (فأصبح رأيي كرأيها، فديني كدين الروض، وديني كدين الشهب، وديني كدين الغيث) فالتشبيه هنا أسهم في إجلاء الفكرة وتوضيحها للمتلقي.

إلى جانب ذلك تأتي (الاستعارة)، فقد اشتملت الأبيات على جملة من الاستعارات، من أمثلة ذلك قوله: (نسى الطين) فهنا استعارة تصريحية، حيث شبه الإنسان بالطين وهو أصله الحقيقي، ثم حذف المشبه، وصرح بالمشبه به وهو (الطين) على سبيل الاستعارة التصريحية.

وقوله: (إن الحياة حبتك كنوزها) استعارة مكنية، حيث شبه الحياة بإنسان كريم يعطي الآخرين كل ما يملك.

ثم تأتي (الكناية) –أيضاً– وسيلة تعبيرية تصويرية؛ لتزيد من وضوح الفكرة عند الشاعر، ففي قوله: (وبم الغرور وكلكم لفناء) صور الشاعر لنا صورة كنائية جميلة، كنى بها عن الفناء، تلك الحقيقة التي لا شك فيها.

وفي قوله: (لا يرضى أبداً لصاحب الذي لا يرتضيه)، فهنا كناية عن جميل صفات الصاحب الكريم التي وضحها لنا إيليا.

وفي قوله: (أنت للأرض أولاً وأخيراً)، وقوله: (لا خلود تحت السماء لحي) كناية عن الفناء، فلم التنازع والتنافر بين البشر والجميع مصيره للفناء.

وفي قوله: (فإذا الناس كلهم في ثيابي)، كناية عن وحدة الذات، فالبشر ما هم إلا ذات واحدة تفرقت في أجساد متعددة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي قوله: (إني امرؤ بصحابي فوق قارون)، كناية عن اعتزازه وغناه بأصحابه.

وقوله: (وجارهم عزيز لا يضام) كناية عن كرم أهل مصر، وحسن ضيافتهم وقبولهم للآخر.

هكذا توالت الكنايات التي برزت بكثرة في قصائد الشاعر إلى جانب (التشبيه، والاستعارة)؛ لتبيان مدى قناعة الشاعر بفكرته، لذا وجدناه قد سبح بخياله مبالغة في صوره، ليشعر الآخرين بأهمية الفكرة؛ لتحقيق التآلف والانسجام بين الأفراد والمجتمعات.

ثانياً- من حيث القيم الشعورية:

فالقيم الشعورية عند الشاعر تكمن في عنصر (العاطفة)، فأهم ما يميز الشاعر صدق عاطفته.

فمن خلال تتبعنا لظاهرة ثقافة التعايش مع الآخر عند إيليا، تبين لنا صدق عاطفته، فالشاعر عاش في وطن غير وطنه، وانسجم مع الآخر وتقبله، فهو عندما يعبر عن تجربته يفرغ لنا شحنة من التجارب التي تؤكد أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش بمفرده، حتى لو كان بعيداً عن أهله ووطنه، فالجميع أخوة في الإنسانية، رغم الألم والحزن والحنين.

فالشاعر بث لنا قيم الحب والتسامح والكرم وحسن معاملة الآخر بعاطفة صادقة، وفاءاً لحق الأخ على أخيه الإنسان، مهما ابتعدت المسافات، واختلفت الديانات.

ثالثاً- من حيث القيم الجمالية:

للشعر قيم جمالية تبرزه في صورة جمالية موحية، تلك التي تظهر لنا من خلال الموسيقى بنوعيها: الخارجية والداخلية، التي يعبر بها الشعراء عن وجدانهم وخواطرهم، بحيث يحركون المشاعر والأحاسيس.

لقد اعتنى شاعرنا في تقديمه لفكرة التعايش مع الآخر بعنصر الموسيقى بنوعيها.

أما عن الموسيقى الخارجية:

فقد خضع الشكل الموسيقي عند شعراء المهجر لألوان من التجديد، فكما جددوا في المضمون الشعري جددوا في الإطار الموسيقي للشعر.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وشاعرنا لم يكن بعيداً عن بني جنسه في التجديد الموسيقي، إلا أنه كان أقربهم لقواعد الشعر العربي، فقد حافظ في كثير من قصائده على أوزان الشعر المعروفة، كذلك حافظ على الإيقاع الموسيقي للقافية.

فأهم ما يميز إيليا في كثير من قصائده وخاصة التي يدعو فيها للتعايش مع الآخر اعتماده على بحور الشعر المعروفة، فقد وجدناه في قصيدته (كن بلسماً) يختار لها بحر (الكامل) المكون من (متفاعلن) ست مرات، وفيها يقول(١):

كن بلسما إن صار دهرك أرقماً *** وحلاوة إن صار دهرك علقماً

فبحر (الكامل) من البحور الطويلة، فطوله وكثرة حركاته مكنت الشاعر من توصيل ما يريد من معان وأفكار.

كذلك قصيدته (كتابي) التي ثار فيها على التعصب الديني، جاءت على نفس البحر، وفيها يقول(٢):

وسائلة أي المذاهب مذهبي *** وهل كان فرعاً في الديانات أم أصلاً

فبحر الكامل بطوله، أتاح له مساحة أكبر لمعالجة موضوعه، لم تتح في البحور القصيرة أو المجزوءة.

وفي قصيدته (الطين) اختار لها بحر (الخفيف)، المكون من (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) وفيها يقول(٣):

نسى الطين ساعة أنه طين *** حقير فصار تيها وعربد

---

(١) ينظر: ديوان إيليا أبي ماضي ٦٥٦/٣.
(٢) ينظر: ديوان إيليا أبي ماضي ٥٩٨/١.
(٣) المرجع السابق ٣١٦/٢.

فهذا البحر بخفته وسهولة إيقاعه مكنه من نقل فكرته بموسيقية رنانة.

لقد جاءت معظم قصائد الشاعر خاصة التي دعا فيها للتعايش مع الآخر على بحور شعرنا العربي المعروفة.

أما عن القافية:

فقد شكلت (وحدة القافية) عند إيليا ظاهرة جمالية ذات أهمية بالغة، فإيليا من أغزر شعراء الرابطة القلمية، وأطولهم نفساً، وأكثرهم قدرة على استعمال القافية الواحدة دون تغيير(١).

لقد لاحظناه يعتمد على وحدة القافية في أغلب قصائده التي تحدث فيها عن التعايش مع الآخر؛ لما للقافية الواحدة من دلالة على قدرة الشاعر الإبداعية، إضافة إلى جرسها الموسيقي الأخاذ، فقد اعتمد على قافية (الدال) في قصيدته (الطين)، التي تحدث فيها عن اتحاد البشر، فالجميع من أصل واحد، فالدال المفتوحة أتاحت له إمكانية توصيل فكرته، وأعطت له طولاً وانفتاحاً، أحدث صداه في نفس المتلقي.

كذلك نجد (النون) في قصيدة (كلوا واشربوا)، و (اللام) في قصيدة (فلسفة الحياة) إلى آخر القصائد التي اعتمد فيها على القافية الموحدة، والتي أسهمت إلى جانب العناصر الفنية الأخرى في توضيح نظرته تجاه الآخر، وحرصه على التعايش معه، إلى جانب إيقاعها الموسيقي الأخاذ.

---

(١) ينظر: إيليا أبو ماضي شاعر السؤال والجمال صـ٥٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أما عن الموسيقى الداخلية:

والتي ظهرت لنا من خلال انسجام الألفاظ، وجرس العبارات، وموسيقية المحسنات، فنجد الشاعر قد أولاها اهتماما واضحاً.

فنراه مثلاً قد اعتمد في موسيقاه الداخلية الانفعالية على تشكيل موسيقى الألفاظ، ففي قوله: (أحببتكم) في قصيدة، و(أحبب) في قصيدة أخري، كلمات تصور انفعال الشاعر بقضيته، وتعطي جرساً موسيقياً.

وكذلك في ذمه رجال الدين الذين يقولون ما لا يفعلون، اختار ألفاظ: (نهاني، استرقني) كلمات توحي ببشاعة ما يفعله هؤلاء، وتصور انفعال الشاعر، فكأنه يصور شخص واقف أمامه، إلى جانب موسيقية الألفاظ وحسن انسجامها.

ثم تأتي المحسنات البديعية لتضيف بعداً موسيقياً داخلياً، فقد ساهم (الطباق) في التعبير عن تجربة الشاعر، فقد عكست الكلمة وضدها فكرته التي يلح عليها، رغبة منه في وصولها للمتلقي جلية واضحة، فمثلاً وجدناه وهو يدعو للمحبة بين الناس، يطابق بين (حلاوة، وعلقماً)، وبين (أحبب، وأبغض)، وبين (نيراً، ومظلماً)، فالطباق هنا محسن بديعي أسهم في توضيح فكرة الشاعر، ومما زاده جمالاً أنه أتى عفو الخاطر دون تكلف.

كما ساهم (الجناس) في إثراء الموسيقى الداخلية كما في قوله: (كسي، وكيسه)، وقوله: (تهش، وتشتهيه)، فالجناس يوضح المعنى ويقربه للمتلقي.

إلى غير ذلك من المحسنات البديعية التي ظهرت لنا أثناء الدراسة، والتي تضفي على الأبيات جمالاً ووضوحاً.

هكذا برزت الموسيقى بنوعيها عند الشاعر، وكانت دليلاً على براعته، وتمكنه، كما أنه على الرغم من تجديد الشاعر في شعره، وفكره، إلا أنه لم يبتعد عن موسيقى الوزن وموسيقى القافية، وهذا إن دل إنما يدل على تمكن الشاعر الذي لم تقف أوزان شعرنا العربي حجرة عثرة أمام تجديده.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الخـــاتمـــة

وبعد هذه الجولة مع الشاعر في غمار بحثي هذا، وما أحسسناه مـــن حب، وصدق عاطفة، ووفاء أخوي، نبع من قلب شاعر كان وبحـــق رمـــزاً للحب الأخوي الصادق، فجاءت هذه الدراسة للكشف عـــن محـــاور الحـــب، والدعوة إلى التعايش مع الآخرين، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة مـــن النتائج هي كالآتي:

* جاء شعر إيليا عنواناً للود والحب والتسامح مع الآخرين.

* ظهرت فكرة الشاعر تجاه الآخرين بلغـــة بســـيطة، وأســـاليب واضـــحة متناسقة، معبرة عن فكرته، مستغرقة في وصف الخصال الحميدة بصور خيالية معبرة.

* جاءت المحسنات البديعية عند الشاعر عفوية دون تكلف، مما زاد فكرته زينة وحسناً ووضوحاً للمتلقي.

* جاءت عاطفة الشاعر عاطفة صادقة مندفعة للتعبير عما يدور بداخله، فقد عاش التجربة بنفسه.

* جاءت موسيقى الشاعر أخاذة تبرهن على قوته، وتمكنـــه بنغمـــة تأســـر القلوب بجرسها الموسيقي.

هكذا أكون قد ختمت ما تسنى لي من حديث عن ثقافة التعـــايش مـــع الآخر عند إيليا أبي ماضي، الذي كان بحق رمزاً للوفاء الأخوي، والصـــدق العاطفي.

وأوصي الباحثين من خلال تلك الدراسة، إلى دراسة كافة المعاني والقيم التي تبعث على الألفة والتكاتف بين البشرية، لا سيما في الظروف العصيبة التي نمر بها، وذلك في الأعمال الأدبية شعرها ونثرها القديم والحديث منها، فهي أعمال زاخرة بالقيم والمبادئ التي يحثنا عليها ديننا الحنيف.

والله أسأل أن يجعل هذا البحث إضافة موفقة لما سبقه من دراسات، وحسبي الله أنني حاولت، فمنه التوفيق، وعليه الاعتماد.

(وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

١١٧٠٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الفهـــــارس

فهـرس المصادر والمراجــع

أولا: **القرآن الكريم جل من أنزله**.

ثانياً: **المصادر**.

١- أثر الحوار في التعايش مع الآخر تأليف/ عبد السلام حمود غالب، الناشـــر/ جامعة عليكرة الإسلامية – الهند، بدون طبعة وتاريخ.

٢- الأداء الفني للظاهرة الإنسانية عند القلميين د/ عيد عبد الرحمن قناوي، ط١: ١٤١٧هـــ- ١٩٩٦م، الناشر/ مطبعة مختار- أسيوط.

٣- أدب المهجر (دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربـــة التأمليـــة فـــي الأدب المهجري) د/ صابر عبد الدايم طـــ١: ١٩٩٣م، الناشر/ دار المعارف.

٤- أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب د/ نظمي عبد البـــديع محمـــد، الناشر/ دار الفكر العربي، بدون طبعة وتاريخ.

٥- الأعلام للزركلي (ت: ١٣٩٦هـــــ)، طـــــ٥: ٢٠٠٢م، الناشـــر/ دار العلـــم للملايين.

٦- إيليا أبو ماضي شاعر السؤال والجمال تأليف/ خليل برهومي، الناشـــر/ دار الكاتب العلمية – بيروت، بدون طبعة وتاريخ.

٧- تهذيب اللغة للأزهري (ت: ٣٧٠هـــ) ت/ محمد عـــوض مرعـــب طـــــ١: ٢٠٠١م، الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ثالثا: **المراجع**

٨- دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه د/ محمد عبد المـــنعم خفـــاجي، طـــ١: ١٤١٢هـــ - ١٩٩٢م، الناشر/ دار الجيل – بيروت.

٩- ديوان الأرواح الحائرة لنسيب عريضة، نيويورك ١٩٤٦م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١٠- ديوان إيليا أبو ماضي (شاعر المهجر الكبير) تقديم/ جبران خليل جبران، تصدير: دكتور/سامي الدهان، دراسة/ زهير مبرزا، الناشر/ دار العودة – بيروت.
١١- ديوان فوزي المعلوف لفوزي المعلوف، الناشر/ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٢م.
١٢- ديوان من السماء لأحمد زكي أبو شادي، الناشر/ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٢م.
١٣- ديوان همس الجنون لميخائيل نعيمة طـ٦: ٢٠٠٤م، الناشر/ مكتبة نوفل – لبنان.
١٤- صوت العالم تأليف/ ميخائيل نعيمة، طـ٨، الناشر/ مؤسسة نوفل – بيروت.
١٥- قصة الأدب المهجري د/ محمد عبد المنعم خفاجي طـ٣: ١٩٧٣م، الناشر/ دار الكتاب اللبناني – بيروت.
١٦- لسان العرب لابن منظور (ت: ٧١١ه)، طـ٣: ١٤١٤هـ، الناشر/ دار صادر – بيروت.
١٧- مستجدات النقد الروائي د/ جميل حمداوي طـ١: ٢٠١١م.
١٨- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة د/ سعيد علوش طـ١: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الناشر/ دار الكتاب اللبناني – بيروت.
١٩- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب تأليف/ مجدي وهبة، وكامل المهندس، طـ٢: ١٩٨٤م، الناشر/ مكتبة لبنان – بيروت.
٢٠- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، الناشر/ مكتبة المثنى – بيروت، بدون طبعة وتاريخ.
٢١- النقد الأدبي د/ محمد غنيمي هلال، الناشر/ دار نهضة مصر للطباعة ١٩٩٧م.

حادي عشر: فهرس تفصيلي لموضوع البحث.

م	الموضـــــوع	الصفحة
١.	ملخص البحث باللغة العربية .	١١٦٥٣
٢.	مخلص البحث باللغة الأجنبية (Abstract) .	١١٦٥٤
٣.	المقدمة: في التعريف بالموضوع، وبيان أهميته، وسبب اختياري له، منهج البحث، وخطته .	١١٦٥٥
٤.	التمهيد، وفيه التعريف بمصطلحات العنوان، مع التعرض للأدب المهجري وأهم رواده وموضوعاته .	١١٦٥٨
٥.	المبحث الأول: ثقافة التعايش مع الآخر من منظور إيليا أبي ماضي، وفيه مطلبين :	١١٦٦٦
٦.	المطلب الأول: إيليا أبو ماضي سيرته الذاتية والأدبية .	١١٦٦٧
٧.	نسبه.	١١٦٦٧
٨.	معتقده.	١١٦٦٧
٩.	أثاره الأدبية.	١١٦٦٨
١٠.	خصائص شعره.	١١٦٦٨
١١.	وفاته.	١١٦٦٩
١٢.	المطلب الثاني: ثقافة التعايش مع الآخر من منظور إيليا الأدبي .	١١٦٧٠
١٣.	المبحث الثاني: الخصائص العامة لنظرة إيليا الأدبية، ويشمل :	١١٦٨٤
١٤.	القيم التعبيرية، ومنها :	١١٦٨٥
١٥.	اللغة :	١١٦٨٥
١٦.	الأسلوب :	١١٦٨٨
١٧.	الصورة الشعرية :	١١٦٩٠
١٨.	القيم الشعورية (العاطفة)	١١٦٩٣
١٩.	القيم الجمالية (الموسيقى بنوعيها: الخارجية والداخلية)	١١٦٩٣
٢٠.	الخاتمة .	١١٦٩٨
٢١.	فهرس المصادر والمراجع .	١١٧٠١
٢٢.	فهرس تفصيلي لموضوع البحث	١١٧٠٣

تم بحمد الله